Kayıt No
İslâm Ansiklopedisi

الدكتور ابراهيم خلف العبيدي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد
المنتدب للتدريس في
كلية الآداب ـ جامعة القاضي عياض
مراكش

البرغواطيون في المغرب

127 ـ 542 هـ.

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Ansiklopedisi
6275

منشورات « **الجامعة** »
السلسلة التاريخية ـ 1

الطبعة الأولى 1983

بـرغـواطـة

ظهر البرغواطيون على المسرح السياسي في أوائل القرن الثاني الهجري واستمروا حتى منتصف القرن السادس الهجري. ولعبوا دورا فعالا في الحياة السياسية المغربية . فلم يتمكن الادارسة ولا الدول الأخرى التي ظهرت في المغرب من القضاء عليهم حتى ظهر المرابطون . فمن هم ؟ وما هي عقيدتهم ؟ وكيف ولماذا صمدوا بوجه أعدائهم ؟ ما هي علاقاتهم بالدول الأخرى ؟ انها أمور يكتنفها الغموض والتناقض .

ان هذا الغموض والتجاهل من قبل المؤرخين القدامى يفرض واجبا على المؤرخين المغاربة بشكل خاص والمؤرخين العرب بشكل عام البحث بشكل علمي وموضوعي للكشف عن الحقيقة وازالة الغموض ، غير أن الذي يتصدى لهذا الموضوع في الوقت الحاضر يلاقي عدة صعوبات ، منها عدم وجود كتابات تاريخية تعبر عن وجهة نظر البرغواطيين فهي في طي الكتمان . والمصادر القديمة تعبر عن وجهة نظر معادية الى جانب الاضطراب . أما الكتابات الحديثة فقد زادت المشكلة تعقيدا لكثرة التفسيرات التي لا تستند في كثير من الاحيان الى أسس صحيحة .

ان المصدرين الأساسيين عن البرغواطيين واللذين نقل عنهما القدامى والمحدثون هما ابن حوقل والبكري . فالأول شاهد عيان زار المنطقة في منتصف القرن الرابع الهجري ، وسجل أخبار عقيدتهم ووصف طباعهم وصفا أفاد في تصحيح بعض المعلومات . الا أنه دون معلوماته على عجل وبعضها سمعها من آخرين ، لذلك جاءت معلوماته خاصة فيما يتعلق بالعقيدة مضطربة .

أما البكري الذي عاصر الدولة في سنينها الأخيرة فقد استمد معلوماته من سفير البرغواطيين الى الحكم المستنصر سنة 352 ويدعى أبو صالح زمور بن موسى بن هشام بن واردیزن . ولم يلتق البكري به بل سمع عن شخص آخر كان مترجما للسفير وهو أبو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاطي من أهل شالة. وهو مسلم من بيت خيرون بن خير (1). واستند البكري الى شخص آخر هو فضل بن مفضل بن عمرو المذحجي ، ولم يحدد لنا هويته . وهناك تضارب بين الروايتين لم يحاول البكري تحقيقهما او تفضيل احديهما على الاخرى .

وأخذ عن البكري المؤرخون اللاحقون (2) دون اضافات بل حاول بعضهم التوفيق بين روايتي زمور والمذحجي . ولم يدل المؤرخون المشارقة بدلوهم في هذه المسألة بل احجموا عن الكتابة عنها .

وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين (3) الخوض في غمار هذا الموضوع لمعرفة أصول عقيدة البرغواطيين ودورهم السياسي ومن أبرزهم الدكتور محمود اسماعيل . الذي كتب دراسة جيدة عن المسألة البرغواطية نشرها في كتابه (مغربيات . دراسات جديدة) . وقد جمع نصوصا كثيرة عن هذه المسألة ، وناقش الذين حاولوا جعل الديانة البرغواطية نتاجا لعقائد هيللينية أو يهودية أو مسيحية وفند هذه الآراء بروح علمية . وأكد أن دراسات المحدثين لقيت مزيدا من الغموض حول المسألة البرغواطية . غير أنه وقع في نفس الخطأ وأضاف غموضا جديدا ، ومصدر هذا الغموض والاضطراب في دراسته أنه تبنى فكرة (صفرية العقيدة البرغواطية) من الأساس وأراد الوصول الى هذه الفرضية التي يعتبرها حقيقة

بأية وسيلة ، فجمع النصوص التي تخدم هدفه وحمل النصوص الأخرى أكثر مما تتحمل ودون الأخرى ناقصة اذا لم تسعفه . ومن المعروف في الدراسات التاريخية أن الخطأ في البداية يقود الى الخطأ في النهاية . وسأحاول ايضاح هذا الاضطراب خلال البحث . ولكن هذا لا يعني التقليل من أهميةالدراسة . فهي أول دراسة جامعة متكاملة عن الموضوع .

وسأحاول في هذه الصفحات استقراء تاريخ البرغواطيين محاولا التعرف على عقيدتهم ، وسني حكم أمرائهم ، ونشاطهم مما يتوفر من مصادر ومراجع .

التسمية

اختلف المؤرخون حول اسم برغواطة . هل هم من زناتة ؟ أم خليط من العناصر . أم أنها تسمية لا تمثل قبيلة بعينها .

فيرى البكري أن اقليم تامسنا كان مرتعا لقبائل زناتة وزواغة (4) . ونجم عن هذا التصور خلاف المؤرخين اللاحقين حول أصل البرغواطيين . فصاحب كتاب الاستبصار يقول انهم (كانوا قوما جهالا من زناتة (5)) . ولم ينسبها ابن عذاري لزناتة وأكد أن برغواطة من قبائل البربر (6) . كذلك ابن حوقل فانه قال (قبيلة برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط (7)) .

ويرى البعض الآخر ، بانه لم يكن اسما لقبيلة معينة يجمعها أصل واحد أو أب واحد بل كان اسما لاخلاط من البربر اجتمعوا على شخص يهودي الأصل ادعى النبوة وهو صالح بن طريف بن شمعون البرباطي نسبة الى الموطن الذي نشأ فيه وهو برباط بالقرب من شريش جنوب الاندلس. وسمي من اتبع هذا الدين بربطي نسبة الى بربط، فعربت العرب هذا الاسم وقالوا برغواط وبرغواطي وأضافوا اليها هاء الجمع فصارت برغواطة (8) . ويضيف ابن دحية أن الاسم الحقيقي بلغواطة ، وان مفردة برغواطة باللام بدل الراء ، وان العامة يخطئون فيها فيقولون برغواطة (9) . ويبدو أن هذا المبرر للتسمية جاء من حيث الصورة اللفظية .

ويخالف ابن خلدون هذا الرأي الذي أورده عن صاحب كتاب نظم الجوهر . مؤكدا بان برغواطة قبيلة من المصامدة ،

وهم الجيل الأول منها . وكانوا المتقدمين منهم قبيل الاسلام ، وكان لهم في صدر الاسلام التقدم والكثرة وكانوا شعوبا كثيرة متفرقين وكانت مواطنهم في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وآزمور وآنفى وآسفي . وكان كبيرهم لأول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صالح .. ويضيف ويغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء فيعدهم من قبائل زناتة وآخرون يقولون في صالح أنه يهودي وهو من الأغالبط البينة وليس القوم من زناتة ويشهد لذلك كله موطنهم وجوارهم لاخوانهم المصامدة . أما صالح بن طريف فمعروف فيهم وليس من غيرهم ولا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل لمنقطع جذمه دخيل في نسبه (10) .

ويحسم هذا النص الخلاف حول أصلهم . غير ان قول ابن خلدون انهم شعوب كثيرة متفرقة واشارة المؤرخين الآخرين الى أن برغواطة ليست اسما لقبيلة معينة دفع البعض أمثال عبد الوهاب بن منصور الى التأكيد بأن الكلمة ليست لها دلالة سلالية وانما تدل على نحلة دينية أطلقت على القبائل التي اتبعتها فقيل لها برغواطة كما يقال للشيعة والخوارج والمعتزلة (11) . وهو رأي جدير بالملاحظة .

غير أن نص ابن خلدون الصريح واعتماده من قبل عدد من المؤرخين يجعلنا نميل اليه لأنه أقرب الى المنطق اذ لا يمكن لهذه القبائل الخضوع لسلطة صالح ، كما أن المؤثرات البرغواطية ظلت واضحة في مناطق المصامدة . ويؤكد ذلك الدكتور ابراهيم حركات بقوله : اني أرجح تأكيد ابن خلدون لأن بعض المؤثرات البرغواطية ظلت حتى يومنا هذا في بعض مناطق المصامدة الجنوبية مثل كراهية أكل البيض ووجود عدد كبير من المتضلعين في العرافة والسحر والاعتماد على